بسم الله الرحمن الرحيم

وبالله التوفيق

بحث فى مدخل الغفران

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين .

أما بعد؛ فالكلمات الآتية هى بمثابة تقدمة نتعرض فيها لمعنى المغفرة بمعناها العام موضحين فيها التعريف اللغوى والاصطلاحى، ثم نحلق فى أجواء المغفرة الإلهية مبينين جلالها وجمالها، ثم نتطرق إلى تجسيد روحها فى شخص رسول الله ﷺ ثم ننتقل إلى فضيلة الاستغفار وأثرها على المحيط النفسى والاجتماعى.

فإن الغفر (الغفران) مدخل من أهم مداخل الإسلام كدين، فطريقه العفو، وبابه الصفح، ومستقره الرحمة.

والغفر (الغفران) كمصطلح ذو دلالات نفسية واجتماعية تؤثر فى المحيط العام للفرد والمجتمع على الصعيد الدنيوى والأخروى، ولا نبالغ إذا قلنا : إن الغفر (الغفران) منظومة فكرية حياتية، تعمل لصالح الإنسان؛ فتكسبه التوازن النفسى والرضى الإلهى .

ومن أجل تعميق الفكرة؛ نتعرض لهذا المصطلح من الداخل ونحاول أن نكشف عن هذه المنظومة؛ لنخرج بنتائج يمكن توظيفها فى حياتنا .

فلذلك نبدأ بتعريفه فى اللغة، والاصطلاح، ثم ندرسه كمنحة ومنّة إلهية، متتبعين الآيات الشريفة، والأحاديث القدسية .

التعريف اللغوى :

الغفر والغفران بمعنى: الستر[1]، وغفر الله الذنب غفرًا، ومغفرة، وغفرانًا ؛ ستره[2]، وغطى عليه، وعفا عنه[3].

والغفور، والغفار؛ جل ثناؤه، وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم[4].

فمن خلال تتبع كلام اللغويين يمكن القول: بأن آلية (الغفران) الداخلية تسير بداية (بالستر)، ثم تأتى مرحلة بعدها وهى (التغطية التامة)، ثم نهاية الحركة الداخلية للآلية وهي مرحلة (إزالة الأثر) ولقد أشار الإمام محيى الدين بن عربى فى فتوحاته فى معرض الحديث عن (الغفار، والغافر، والغفور) إلى هذا المعنى، فقال: فاعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الأمور كلها ستور بعضها على بعض[5] .

وهو ما سوف يظهر جليًا من خلال تتبع التعريف الاصطلاحى ودلالاته.

التعريف الاصطلاحى:

الغفران والمغفرة: هو أن يستر القادرُ، القبيحَ الصادرَ ممن تحت قدرته[6]. أو هو ستر الجرم صونًا عن عذاب التخجيل والفضيحة[7].

---

(١) انظر: مقياس اللغة، لابن فارس، مادة [غفر].

(٢) انظر: الأفعال، لابن القطاع، مادة [غفر].

(٣) انظر: القاموس المحيط، مادة [غفر].

(٤) انظر: لسان العرب، مادة [غفر].

(٥) انظر: الفتوحات المكية، ابن عربى (٣١٥/٧).

(٦) انظر: التعريفات للجرجانى ص(٢٨٦).

(٧) انظر: الكليات، للكفوى ص (٦٣٢).

والمغفرة والغفران من الله تعالى: أن يصونَ العبدَ مِنْ أن يمسَّهُ العذاب[1]، وهو يقتضى إسقاط العقاب ونيل الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يستعمل إلا فى حق البارى تعالى[2] .

يتضح من خلال التعريف الاصطلاحى أن مداره حول الستر، ودرجاته فالله تعالى هو القادر على ستر عيوب وذنوب عباده، وهو تعالى الذى يسقط الذنوب عن عباده، ثم يتوسع فى مغفرته بصونهم من عذاب النار، وبنيل الثواب، ولا يستحق ذلك إلا العبد المؤمن ولا يكون إلا من البارى جلَّ ثناؤه.

وإذا فرغنا من التعريف اللغوى والاصطلاحى يجدر بنا أن نحاول التقرب إلى المغفرة والغفران الإلهى.

فبالنظر إلى كتاب الله تعالى بداية نجد أن مادة [غفر] ومشتقاتها كثيرة، وكثيرًا ما ترتبط بصفات المعانى فنجد الرحمة فى قوله تعالى ﴿**وكان الله غفورًا رحيمًا**﴾[النساء: ٩٦] .

أو بالعفو فى قوله تعالى ﴿**وكان الله عفوًا غفورًا**﴾[النساء:٩٩] .

أو بالحلم فى قوله ﴿**إنه كان حليمًا غفورًا**﴾[الإسراء:٤٤].

أو بالشكر فى قوله ﴿**إنه غفور شكور**﴾[فاطر:٣٠].

أو بالعزة فى قوله ﴿**إن الله عزيز غفور**﴾[فاطر:٣٥] .

---

(١) انظر: التعاريف (٥٣٩/١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغبالأصبهانى ص(٤٠٥).

(٢) انظر: الكليات للكفوى ص (٦٦٦).

ولكن من الملاحظ وبالنظر نجد أن المغفرة قلما تأتى من غير (الرحمة) والملاحظ أيضًا أن (المغفرة) تأتى بعدها (الرحمة) إلا فى قوله تعالى ﴿**يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور**﴾[سبأ: ٢٠] .

فى حين أن (العفو) دائمًا يتقدم (المغفرة) كما فى قوله تعالى ﴿**إن الله لعفو غفور**﴾[الحج: ٦٠].

فثمت علاقة تربط (المغفرة) بالرحمة بالعفو وأيضًا الصفح، وإن كان الكل صادر من المولى تعالى فهو الذى يعفو، ويصفح، ويغفر، ويرحم عن قدرة وعزة، ولكن قصدنا نوعًا آخر من العلاقة.

فالعفو والصفح كلفظين لهما دلالاتهما متلازمين دائمًا فى النظم القرآنى، إلا فى خطابه تعالى لنبيه ﷺ ﴿**وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل**﴾[الحجر: ٨٥] وقوله تعالى ﴿**فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون**﴾[الزخرف: ٨٩].

وفى غير هاتين الآيتين نجد التلازم بين (العفو) و(الصفح)، ودائمًا العفو يسبق الصفح فى النظم القرآنى.

فالعفو، هو: التجافى عن الذنب[١]، **والصفح، هو**: ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو، ولذلك قال تعالى ﴿**فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره**﴾[البقرة: ١٠٩][٢]. وقد يعفو الإنسان ولا يصفح.

---

(١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص(٣٨٠).

(٢) المصدر السابق، ص (٣١٦).

والمغفرة هى (الدار) المقصودة بالعفو والصفح، وساكن هذه الدار مقره مقر الرحمة، فبعد أن سلك الإنسان طريق العفو، ثم فتح باب الصفح؛ فقد بلغ المغفرة، ودخل بيت الرحمة وقال تعالى ﴿**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**﴾[النور:٢٢]. وقال تعالى ﴿**وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم**﴾[التغابن:١٤].

فالعفو بإضافته إلى الصفح؛ يكون الناتج مغفرة، وبكثرة الاستغفار العملى تكون الرحمة، قال تعالى ﴿**واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**﴾[المزمل:٢٠] وقوله تعالى ﴿**ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا**﴾[النساء:١١٠].

والرحمة: هى البشرى الكبرى قال صلى الله عليه وسلم: «**سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحدًا الجنة عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته**»[1]. وقال تعالى ﴿**والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه**﴾[البقرة:٢٢١].

فإذًا قد علمنا أن المغفرة طريقها العفو، وبابها الصفح ومستقرها الرحمة، فلنعلم أيضًا أن المغفرة لا تتأتى إلا من عزيز قال تعالى ﴿**وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾[المائدة:١١٨] . فلا يغفر إلا كل عزيز قادر، والله تعالى هو العزيز الغفور، قال تعالى ﴿**إن الله عزيز غفور**﴾[فاطر:٣٥].

ولذلك قال الجرجانى[2]: إن العبد إن ستر عيب سيده مخافة عتابه لا يقال : غفر له

---

(١) الحديث: أخرجه البخارى كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل (٦٤٦٧).

(٢) انظر: التعريفات ص(٢٨٦).

فالمغفرة كمصطلح لغوى حى له طور نمو داخلى، يبدأ بالستر، ثم بالستر التام (التغطية)، ثم بإزالة ما يستر من العيوب والذنوب.

أما المغفرة الإلهية: فالطريق إليها يبدأ بالعفو الإلهى، ثم فى نهاية هذا الطريق باب الصفح الإلهى، الذى بتخطى درجه، فقد تمت المغفرة، التى جزاؤها الرحمة.

فهذا التصور الذهنى للمغفرة (الغفران) يمكن من خلاله الإسهام فى فهم وتعميق العلاقة بين الرب والعبد، وبين العباد بعضهم ببعض .

لذلك نحاول فيما يأتى عرض بعض الصور لمغفرة الله تعالى لعباده، ثم المغفرة كسلوك نبوى متمثلاً فى خير من غفر من الخلق سيدنا محمد ﷺ ، ثم كمنهج حياة للصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

مغفرة الله تعالى لعباده

فالله تعالى هو الغفار، قال تعالى ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**﴾[ص:٦٦]. أى هو الستار لذنوب خلقه[(١)].

وهو سبحانه وتعالى الغافر، قال تعالى ﴿**غافر الذنب وقابل التوب**﴾[غافر:٣].

قال الزمخشرى فى كشافه[(٢)]: ﴿**غافر الذنب وقابل التوب**﴾ معرفتان، لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين، وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدًا، حتى يكونا فى تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش، انتهى.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٥/١٧٤).

(٢) انظر: الكشاف ، للزمخشرى (٣/٤١٢).

وهو سبحانه وتعالى الغفور قال تعالى ﴿**هو الغفور الرحيم**﴾[يونس:١٠٧]. والغفور جل ثناؤه، من أبنية المبالغة، ومعناها الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم.

فمغفرة الله تعالى اشتملت حركتها الداخلية ودرجاتها الخارجية، وهى ملازمة لله تعالى قال الله تعالى، على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾[المائدة:١١٨].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : فى كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبًا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له : ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله**﴾[آل عمران:١٣٥] وقوله عز وجل ﴿**ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا**﴾[النساء:١١٠].

مغفرة الله تعالى لأول البشر، آدم عليه السلام :

قال تعالى ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين * فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾[البقرة: ٣٥، ٣٦، ٣٧].

فإن الله تعالى نهى آدم عليه السلام من أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، وكان على آدم عليه السلام الإلتزام بما أمره الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى الذى أسبغ عليه نعمه، فهو الذى خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه،

وهو تعالى الذى أسكنه جنته، وخلق له زوجة تؤنسه، وهو أول من خاطبه الله تعالى من البشر، وأسجد له الملائكة تكريمًا وتشريفًا، ولا يمكن حصر نعم الله تعالى على آدم، ولاعلى غيره. ورغم ذلك نسى آدم ، وأزله الشيطان ، ووقع فى المحظور، قال تعالى ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما**﴾[طه:١١٥].

ثم جاءت أول المغفرة، وهو العفو من الله تعالى ، فبين الله تعالى لآدم عليه السلام قبح الذنب وخطورة معصية الله تعالى ﴿**فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين**﴾[الأعراف:٢٢].

ثم اجتباه ربه بالصفح الذى هو تمام المغفرة فقال تعالى ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات**﴾[البقرة:٣٧].

فكانت هذه الكلمات: ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[الأعراف:٢٣]. فبقولهما الكلمات جاء تمام وكمال المغفرة، قال تعالى ﴿**فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾[البقرة:٣٧].

مغفرة الله سبحانه للشاك فى قدرته تعالى:

روى البخارى[1]: عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال: «**كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت، قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقونى، ثم اطحنونى، ثم ذرونى فى الريح، فوالله لئن قَدَرَ الله علىَّ**

---

(١) الحديث: أخرجه النحاس، كتاب أحاديث الأنبياء (٤٣١٨).

ليعذبنى عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فُعِلَ به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعى ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له».

والشك هنا من باب الجهل، قال الخطابى: قد يستشكل هذا فيقال: كيف يغفر له، وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب: أنه لم ينكر البعث، وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب.

وقال ابن قتيبة: قد يغلط فى بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك. وكان ذلك فى زمن الفترة فلم تبلغه شرائط الإيمان[1].

ولعل بالنظر نجد أن هذا الرجل قد شك فى قدرة المولى سبحانه وتعالى جهلاً منه، مع العلم أنه لم ينكر الصانع، لذلك خشاه، لكن صدق قول الله تعالى ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾[الأنعام:٩١].ثم إنه لما فُعِلَ به ما أراد، أراه الله تعالى قدرته وعزته؛ فأمر الأرض فقال: «**اجمعى ما فيك منه؛ ففعلت**» وفى رواية : «**فقال الله له كن فكان كأسرع من طرفة العين**». فكان جمعه له سبحانه وتعالى برهانًا على القدرة الإلهية، وبيانًا لعظم الجرم وقبح الذنب وذلك إيذانًا بالعفو الذى هو الطريق إلى المغفرة، فقال الرجل بعد أن سأله الله تعالى على فعله ذلك، فقال: «**خشيتك**» فكان تمام وكمال المغفرة : «**فغفر له**».

---

(١) انظر: فتح البارى، ابن حجر (١٠٤/٦).

الرجل يذنب الذنب فيغفر له الله ثم يعود إلى ذنبه:

روى البخارى[1]: عن أبى هريرة ﷺ تعالى قال: سمعت النبى ﷺ قال: «**إن عبدًا أصاب ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبت ذنبًا، فاغفر، فقال ربُّه: أعلم عبدى أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدى، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبًا ، فقال: رب أذنبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدى أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدى، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنبت ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبت آخر فاغفره لى، فقال: أعلم عبدى أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدى ثلاثًا، فليعمل ما شاء**» .

قال ابن بطال ، كما نقل الحافظ فى فتح البارى[2]: إن المصر على المعصية فى مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له مغلبًا الحسنة التى جاء بها وهى اعتقاده أن له ربًا خالقًا يعذبه ويغفر له، واستغفاره إياه وذلك يدل عليه قوله: ﴿**من جاء بالحسنة فله خير منها**﴾[النمل:٨٩] ولا حسنة أعظم من التوحيد، فإن قيل: إن استغفاره ربه توبة منه، قلنا : ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة، وقد يطلبها المصر ولا دليل فى الحديث على أنه تائب مما سأل الغفران عنه، لأن حد التوبة الرجوع عن الذنب والعزم أن لا يعود إليه والإقلاع عنه والاستغفار بمجرده لا يفهم منه ذلك . انتهى.

وهذا الحديث يدل على عظم فضل الله وعفوه وصفحه وهو تمام وكمال المغفرة التى تؤدى إلى سعة رحمة الله، وأيضًا فائدة الاستغفار، وهو استغفار

---

(١) الحديث: أخرجه البخارى، كتاب التوحيد (٧٥٠٧).

(٢) انظر: فتح البارى (٤٧٩/١٣) .

باللسان مقرونًا بالقلب، لينحل به عقد الإصرار، ويحصل معه الندم، فهو ترجمة للتوبة، ويشهد له حديث «**خياركم كل مفتن تواب**»[1]. ومعناه الذى يتكرر منه الذنب والتوبة، فكلما وقع فى الذنب عاد إلى التوبة لا من قال: أستغفر الله بلسانه، وقلبه مصر على تلك المعصية، فهذا الذى استغفاره يحتاج إلى استغفار، والتوبة هنا بمعنى المغفرة، وإن كانت المغفرة كمعنى، أكبر من التوبة.

قاتل المائة:

روى البخارى[2]: عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**كان فى بنى إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبًا فسأله، فقال له: هل من توبة ؟ قال: لا، فقتله. فجعل يسأل، فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربى، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدى، وقال : قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر؛ فغفر له**».

ففى الحديث أن مغفرة الله تشمل جميع الكبائر فى قتل الأنفس، وإن كان القتل عادة، كمثل هذا الرجل ، وهو مصداقًا لقوله تعالى ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[النساء:٤٨].

ونجد أن طريق المغفرة بدأ بالعفو ، وهو إلهام هذا الرجل السؤال عن التربة.ثم كان تمام وكمال المغفرة بأن أخذته ملائكة الرحمة.

---

(١) الحديث: ذكره صاحب كنز العمال (١٠٢١٠) وعزاه إلى البيهقى فى شعب الإيمان.

(٢) الحديث: أخرجه البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٧٠).

المغفرة سلوك نبوى

والغفر والغفران؛ يقع فى حق المخلوقين، قال تعالى ﴿**فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين**﴾[الأعراف:١٥٥] فالغفر (الغفران) المطلق لله تعالى ولا يمنع أن يغفر الإنسان من باب المشترك اللفظى . وقال تعالى ﴿**وإذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾[الشورى:٣٧] وقال تعالى ﴿**قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام ا لله**﴾[الجاثية:١٤] .

وخير من غفر من المخلوقين سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ .

وفى الكلمات الآتية نستعرض بعض نماذج مغفرته صلى ا لله عليه وسلم .

موقفه صلى الله عليه وسلم من كفار قريش عام الفتح:

لما دخل رسول ا لله ﷺ مكة منتصرًا، وبلغ بيت ا لله الحرام (الكعبة) وطاف به على راحلته، وهو يستلم الركن، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة، ففتح الكعبة، فوقف رسول ا لله ﷺ على بابها وتكاثر الناس فى المسجد، ثم قرأ قوله تعالى ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند ا لله أتقاكم إن ا لله عليم خبير**﴾[الحجرات:١٣] .

ثم نظر إلى قريش، وقال لهم: «**يامعشر قريش، ما ترون أنى فاعل بكم؟**» قالوا : خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال: «**فاذهبوا فأنتم الطلقاء**»[(١)].

---

(١) الحديث: أخرجه البخارى كتاب المغازى باب دخول النبى ﷺ من أعلى مكة (٤٢٩١).

فبهذه الكلمة صدر العفو العام عن قريش وعن أهل مكة جميعًا، فأى نفسٍ هذه ! فقد تسامت نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم، وجسدت روح المغفرة، فهؤلاء أهل قريش من آذوه وائتمروا به ليقتلوه، وعذبوا أصحابه، ولم يجعلوا له مقام فى مكة، ثم قاتلوه فى بدر وأحد، وقتلوا عمه حمزة أسد الله ومثلوا به، وألبوا عليه القبائل وحاصروه فى غزوة الأحزاب، وهم الآن بين يديه وتحت قدميه، أمره نافذ فيهم، وحياتهم كلهم معلقة بإشارة من أصبعه لأصحابه وهم بالألوف مدججين بالسلاح، لو أراد إبادتهم لأبادهم عن بكرة أبيهم.

ولكن هو كما سماه ربه تعالى ﴿**رؤوف رحيم**﴾[التوبة:٢٨] فلا يعرف العداوة، ولا البغضاء، ولا الحقد، وأراد أن يعطى للعالمين درسًا فى العفو والمغفرة عند القدرة على العقاب، وليس هو بالجبار والمتكبر؛ بل هو كما قال ربه تعالى ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[الأنبياء:١٠٧] .

موقفه صلى الله عليه وسلم من أسرى هوازن:

فبعد وقعة حنين، وكانت النصرة فى النهاية للمسلمين، وأسروا وسبوا ما شاء الله من الرجال والنساء من هوازن، جاءه من هوازن وفد مسلمون، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم.

فقال لهم رسول الله ﷺ : «**فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبى وإما المال**». فاختاروا سبيهم، فقام رسول الله ﷺ فى المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين، وإنى قد رأيت أن**

أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطّيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل»[1]

فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله .

ويقال إن عدد الأسرى والسبايا بالآلاف فغفر لهم صلى الله عليه وسلم حربهم له.

خبر حاطب بن أبى بلتعة رضى الله تعالى عنه:

فقد مرَّ الكلام على مواقفه مع الكفار والمشركين وسعة مغفرته صلى الله عليه وسلم لهم، ففى الكلمات الآتية نستعرض بعض مواقفه مع أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

فقبيل فتح مكة، وكان أمر غزوها سرًا، لم يجهر به رسول الله ﷺ إلا لأصحابه، فخاف حاطب بن أبى بلتعة على ولده وأهله الذين تركهم عند كفار قريش، فأرسل إليهم يُعلمهم بمقدم رسول الله ﷺ من خلال رسول يحمل رسالته إليهم .

فأخبر الله تعالى رسوله بذلك، فأرسل فى طلب الرسول وجىء به فإذا بالرسالة: من حاطب بن أبى بلتعة -إلى ناس بمكة من المشركين- يخبرهم ببعض أمر رسول الله، فقال رسول الله ﷺ **«يا حاطب ما هذا؟»** قال: يا رسول الله لا تعجل علىّ، إنى كنت حليفًا فى قريش،

---

(١) الحديث: أخرجه البخارى، كتاب المغازى (٤٣١٨، ٤٣١٩) .

ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتى، ولم أفعله ارتدادًا عن دينى، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ **«أما إنه قد صدقكم»** .

فقال عمر: يا رسول الله، دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال: **«إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[1].

المتأمل لهذا الخبر وأمر حاطب رضوان الله تعالى عليه يجد عظم مغفر الله تعالى، فإنه سبحانه وتعالى لا يغفر ما تقدم من ذنب فقط، بل وما تأخر من الذنوب، ويجد فهمًا نبويًا عميقًا للمغفرة الإلهية وجمالها وتمامها.

فهذا الرجل قد ارتكب أمرًا شنيعًا، قد يودى بحياة عشرات من أشرف الخلق بعد الأنبياء، وهم الصحابة رضوان الله عليهم فهذا العمل يسمى (الخيانة العظمى)، لذلك سارع عمر رضي الله عنه وقال: دعنى أضرب عنق هذا المنافق. لكن النبى ﷺ الذى أدبه وعلمه ربه، وهو يعلم مِنْ ربه مالا يعلمه غير ، غفر لحاطب بمغفرة الله تعالى له.

---

(١) الحديث: أخرجه البخارى، كتاب المغازى (٤٢٧٤) .

خير من شهر السيف فى وجه النبى ﷺ :

وكان النبى ﷺ أرغب الناس فى العفو والمغفرة مع القدرة، فروى البخارى ومسلم وأحمد واللفظ له[1]: عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ فى حرب فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: يا محمد من يمنعك منى؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله» فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ السيف، وقال: **«من يمنعك منى؟»** فقال: كن خير آخذ، قال: **«قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله»** فقال الرجل: لا، غير أنى لا أقاتلك، ولا أكون معك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فجاء أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس.

وكان النبى ﷺ دائمًا هو الكمال البشرى الذى يُحتذى به، ففهمه للمغفرة الإلهية وسعتها بتمامها وتطبيقه العملى لها ؛ سلوكًا عمليًا لأمته، حتى يدخل الناس فى دين الله تعالى أفواجًا، وصدق من سماه ﴿**رؤوف رحيم**﴾[التوبة:١٢٨] .

فكان هذا السلوك له أكبر الأثر فى صحابته، واتخذوه لحياتهم منهجًا، وهذا ما سوف نتحدث عنه فى الكلمات الآتية :

المغفرة منهج حياة اتبعه الصحابة:

وكان أثر النبى ﷺ فى صحابته بالغًا فامتثلوا بأوامره وعملوا على طاعته، امتثالاً لأمر الله تعالى ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم**

---

(١) الحديث: أخرجه أحمد فى مسنده (٣/٣٦٥)

الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[آل عمران: ٣١]، فكان العفو والمغفرة منهجهم فى الحياة، فالمواخاة التى حدثت فى المدينة بين الصحابة بعضهم ببعض لأُنموذج يحتذى به، ودرسًا للعالمين فى سعة المغفرة والرحمة فكلنا يعلم العداوة التى كانت بين الأوس والخزرج، والدماء التى سالت من كلا الفريقين، فبتأسيهم بالنبى ﷺ وفهمهم للتسامح والمغفرة، غفروا لبعضهم البعض ما كان بينهم من أحقاد ودماء؛ كانت تؤجج صدورهم، توارثوها، فكانت بئس الإرث.

والدروس التى تعلموها من رسول الله ﷺ كثيرة، فحين جاء رجل إلى رسول الله يقول له: إن خادمى يسىء ويظلم، فأضربه؟ قال: «**لا، تعفو عنه كل يوم سبعين مرة**»[1]. فهذا فى علاقة الخادم بمخدومه.

وهذا ابن عم رسول الله ﷺ حبر الأمة عبد الله بن عباس، حلف ليضربن غلامًا له، فلما جيء به تركه، فقيل له: فقال: تلك بتلك ، العفو بالحلف[2].

وهذا رجل من التابعين أَبِقَ له غلام، فجعل لله عليه إن قدر عليه ليقطعن يده، فلما قدر عليه بعث إلى عمران بن حصين فسأله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ: «**يحث فى خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة**» ، مُرْ أباك فليتجاوز عن غلامه، وليكفر عن يمينه[3].

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود، كتاب الأدب (٥١٤٢) من رواية ابن عمر .

(٢) الخبر أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٣٧٧).

(٣) الخبر: أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٣٧٤).

هذه المغفرة وهذا العفو تعلموه من المغفرة الإلهية، فالمرء كما يحب أن يغفر الله تعالى له، كذلك وجب عليه أن يغفر لمن قدر عليه، وإن ظلمه لينال العفو والمغفرة الربانية التى تكسبه السعادة الدنياوية والأخراوية.

الاستغفار:

واستغفار الله تعالى هو النبع الذى ارتشفوا منه، فالنبى ﷺ كان دائما يحثهم على الاستغفار، وهو طلب المغفرة من الله تعالى، ليكون لهم منهج حياة فى تعاملهم.

ففى الحديث[1]: قال حذيفة بن اليمان، كنت ذرب اللسان -أى سليطه، أو فاحشه- على أهلى فقلت: يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار، فقال النبى ﷺ : **«فأين أنت من الاستغفار، فإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة»**.

والاستغفار له أثره النفسى على الإنسان فهو السباحة فى رحمة الله، ولولاه لكان القنوط واليأس، فإن الله تعالى مدح المستغفرين فقال ﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾[آل عمران:١٧] ولعلم الإنسان بأن الله تعالى واسع المغفرة وعفوه تعالى أكبر من ذنوب عباده، كانت الطمأنينة والرضى النفسى، التى تكسب المرء الثقة فى الله تعالى والرضى بقضاءه وقدره.

فإذا نظر المسلم إلى الآخر -مَنْ لا دين له- يراه منغمسًا فى ملذاته وفى

---

(١) الحديث: أخرجه ابن ماجة، كتاب الأدب (٣٨١٧) والحاكم (٣٧٦٣) من حديث ابن مسعود، وقال صحيح الإسناد.

شهواته، ثم سرعان ما يملُّ ويبحث عن مخرج مما هو فيه من حياة التدنى، فلا يجد إلا الانتحار وأحضان الشيطان.

أما المسلم نفسه إذا وقع فى أقبح الذنوب قاصدًا أو بغير قصد، فإذا أراد أن يعود إلى ربه، وجده سبحانه وتعالى، ووجد مغفرته، فإن المولى تعالى ليفرح بتوبة عبده، كما ورد فى غير ما حديث.

وكتابنا هذا [**بشارة المحبوب بتكفير الذنوب**] قد جمع مؤلفه الحافظ الفقيه العلامة، وجيه الدين عبد الرحمن بن خليل الأذرعى الأحاديث والآثار القولية والفعلية التى إذا فعلها المسلم تمنحه المغفرة الإلهية .

وجمع المؤلف هذا الكتاب لينصح به نفسه، ثم ينصح المسلمين، بعد أن قست القلوب ، فنحن فى شدة الاحتياج إلى هذه الاستغفار، فيكفى قوله تعالى ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**﴾[نوح: ١٠، ١١، ١٢].

تحقيق الكتاب:

هذا الكتاب كنت قد اطلعت على مخطوطه فى دار الكتب المصرية منذ أكثر من أربع سنوات وجذبنى إليه موضوعه وإن لم يكن بالجديد، ولكن مادته أكثر من تناولها علماء الذوق، أما علماء الحديث، فقلما نراهم كتبوا فى هذا الموضوع.

فقمت بتصوير نسخة من المخطوطة، وأخذت أقلب صفحاتها فرأيت أن مؤلفه وهو من المحدثين الحفاظ ينقل أحاديث المغفرة والأقوال والأفعال الموجبة لها . واعتمد فى نقله على مصادر الحديث من الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد، وغيره من المسانيد، كمسند أبى يعلى ، وأيضا معاجم الطبرانى الثلاثة ورسائل ابن أبى الدنيا.

ورأيته إذا نقل من غير الصحيحين، يرجع إلى تصحيح الحافظين الكبيرين؛ الحافظ المنذرى من خلال كتابه (الترغيب والترهيب) والحافظ الهيثمى من خلال كتابه (مجمع الزوائد) وهذا ما ألزم به نفسه، غير أننا فى بعض الأحاديث نجد اختلافًا بين ما ذكره المؤلف، وما فى الكتب التى اعتمد عليها، وربما يرجع ذلك: إما أنه كان يكتب من حفظه فنسى، أو اختلاف النسخ، وقد أشرنا إلى هذه المواضع وبينا وجه الخلاف.

والكتاب فى مجمله جيد، يدل على سعة حفظ مؤلفه، وقوة جمعه للمادة وخاصة أنها متخصصة فى قضية بعينها (المغفرة).

لذلك أدرجناه ضمن جدول الأعمال، وكان من فضل الله تعالى علينا أن قمنا بتحقيقه.

وصف مخطوط الكتاب:

- المخطوط الأول؛ والذى تم منه النسخ، ورمزنا له (أ) :

مصدره: دار الكتب المصرية . تصنيف (تصوف رقم(٤٥٢٠)) ، عدد الأوراق: (٩٤) ورقة . من القطع المتوسط، عدد الأسطر: (١٨) سطرًا، نوع الخط: نسخ عادى، بخط الناسخ:

- المخطوط الثانى؛ ورمزنا له (ع):

مصدره: معهد المخطوطات العربية. تصنيف [تصوف، رقم (٢٩)]

عدد الأوراق: (٥٤) ورقة من القطع الكبير، عدد الأسطر (٢٩) سطرًا، نوع الخط: نسخ عادى، بخط الناسخ:

عملنا فى هذا الكتاب:

١- مقابلة النسخ، وضبط النص وتقويم العبارة، وتصحيح التحريف والتصحيف، وملاحظة السقط من الكتاب.

٢- عزو الآيات ، وتراجم الأعلام.

٣- تخريج الأحاديث وذكر آراء العلماء أصحاب الفن فى الأحاديث ما أمكن.

٤- الفهارس اللازمة للكتاب المعينة على البحث فيه.

وختامًا ، نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا فى هذا العمل، ولا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساعدنا بالوقت والجهد على إتمامه وإخراجه بهذا الثوب القشيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بقلم
أيمن عبد الجابر البحيرى
الرابع من شعبان لسنة ١٤٢٢ هـ

ترجمة المؤلف

اسمه :

عبد الرحمن بن خليل بن سلامة بن أحمد بن على بن شريف بن مؤنس، الأذرعى الأصل، القابونى، الدمشقى، الشافعى، ويعرف بابن الشيخ خليل، زيد الدين.

مولده ونشأته:

ولد سنة (٧٨٦هـ) ولد بالقابون من أعمال دمشق، وهى قرية بينها وبين دمشق ميل واحد فى طريق العراق، وهى كثيرة البساتين[1]. وأصله من أذرع بحوران.

ونشأ بالقابون، وحفظ فيها القرآن، وختم حفظه ولم يبلغ العاشرة، وحفظ الشاطبية.

طلبه للعلم:

طلب الحديث والفقه من علماء دمشق، فسمع بها، ثم ارتحل إلى القاهرة، فسمع من علماء العصر، وأجيز فى الفقه والحديث، ثم رحل إلى الخليل، سمع علمائها.

وسرعان ما تفقه وحفظ، وبلغ الفتوى والتدريس فحدث بمسجد القصبة بدمشق.

وأيضًا بالمسجد الكبير فى دمشق (جامع بنى أمية) وخطب وأم فيه.

---

(١) معجم البلدان، لياقوت الحموى (٣٢٩/٤).

وفاته:

توفى رحمه الله تعالى فى شعبان سنة (٨٦٩هـ) بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير.

من مصنفاته :

- النصيحة للحر والعبد باجتناب الشطرنج والنرد .
- حواش على تخريج الإحياء ، للعرقى.
- بشارة المحبوب بتكفير الذنوب.

مصادر الترجمة:

- الضوء اللامع، للسخاوى.
- الدارس فى تاريخ المدارس، للنعيمى.
- كشف الظنون، حاجى خليفة.
- إيضاح المكنون، البغدادى.
- معجم المؤلفين، رضا كحالة.
- الأعلام، للزركلى.

صفحة الغلاف

الورقة الأولى من المخطوط

الورقة الثانية من المخطوط

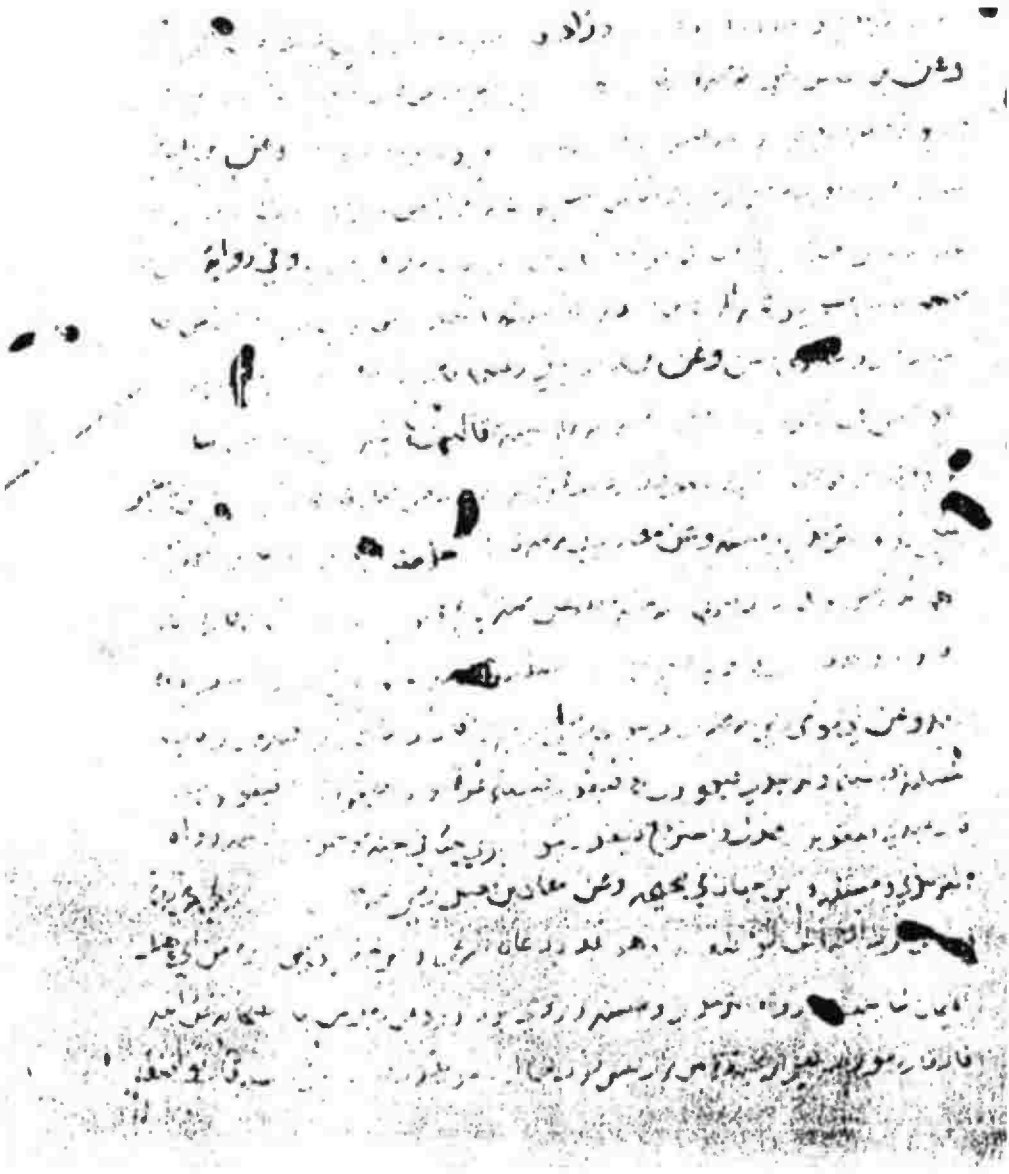

صفحة من الجزء الأخير من المخطوط